مقدمة

نظام كونى شامل ، يحتل فيه نظام فرعى بشرى جزء صغير جداً، ينبع من النظام الفرعى أنظمة أخرى كثيرة قائمة على الاختلاف والتباين والتضاد ، وجد النظام الطبقى (Stratification) مع وجود الإنسان الأول عندما فطن إلى الاختلاف فى الذكاء والقوة الجسدية، ثم عندما تملك وظهر الاختلاف فى قيمة الثروة المملوكة، وأخيراً عندما اكتشف السلاح وطوره واستخدمه فى القتل وفى الدمار.

بالرغم من أن كل إنسان كائن بذاته ، له شخصية مميزة، فإنه يوجد صفات عامة لجميع البشر منها غرائز فطرية كائنة فى جيناته ، وكذلك مراحل تطوره بداية من الميلاد وحتى النهاية عند الممات. ينبع عدم الدقة فى التحليل والتنبؤ بسلوك الإنسان ومعرفة ما يجب عمله أو ما ينبغى ألا يعمله من تحليل الشخصية بمنظور المحلل الذى تكوّن من ميراث جينات وتراكمات تجارب مكتسبة من بيئة خاصة بالفرد. لقد ورث الإنسان من أسلافه غرائز تختلف شدتها من شخص لآخر، كما ورث ميعاد ميلاده الذى تأثر بالموجات الكهرومغناطيسية التى تنتشر فى الكون، ثم اكتسب قيم ومبادئ وثقافة نابعة عن مجتمعه ، فى الأسرة والمدرسة والأقارب والأصدقاء ، أى من البيئة المحيطة به بصفة عامة، كما أثر المكان الذى يعيش فيه الفرد فى تكوين شخصيته وبلورة مبادؤه وأفكاره. فالطفل منذ الصغر يتعلم بالتدريج القيم والمبادئ ممن حوله، ويحاول بالتبعية أن يتصرف فى الكبر وفقاً لتفاعل ما تعلمه مع موروثاته الفطرية، وكذلك وفقاً لوضعه الاجتماعى والاقتصادى والصحى.

من المستحيل أن تتطابق موروثات ومكتسبات التجارب لشخصين، وعلى ذلك يكون من المستحيل أن يكون الحكم صحيحاً ومطلقاً على سلوك إنسان من وجهة نظر إنسان آخر. فوجود الاختلاف والتضاد ظاهرة طبيعية فى هذا الكون، وأيضاً يعتبر وجود السيد والمسود ظاهرة طبيعية إذا نظرنا إلى هذا الأمر من منظور مجرد ومحايد.

ألغى الرق وانتهى الاستعباد ولو ظاهرياً وأصبح الإنسان حراً يملك زمام نفسه، وكاد يتلاشى وجود السيد الارستقراطى ذى الأخلاق النبيلة، وانتهى المطاف بسيطرة السيد العبد الذى يحمل كل من صفات السيد والعبد، هذا الإنسان العدوانى الذى قد يدمر ذاته ويدمر من حوله، وقد يتراجع ويستسلم إذا وجد مصيره إلى الفناء، يتأرجح الإنسان الحديث بين طبيعة السيد وطبيعة العبد، يحمل صفات كل منهما، يساوم ويفاوض فى حضارة مادية تحكمها تكتلات اقتصادية ترغم الإنسان أن يداهن ويساير حتى ينال نصيبه من حياة الرفاهية التى يعيشها حلماً من خلال وسائل الإعلام، لقد تحول العالم إلى قرية صغيرة متعددة الحضارات والثقافات، وتضاءل حجم الإنسان وفكره الفردى وسط مؤسسات عملاقة متعددة تعمل فى جميع مجالات الحياة.

حاول الفلاسفة والباحثين فى علوم السياسية والاقتصاد، والاجتماع والأنثروبولوچيا وعلوم الهندسة الوراثية والجينات، وعلوم أخرى مختلفة التنبؤ بصفات إنسان المستقبل، الأكثرية تبحث وتحلل من المنظور الخاص بها، وليس من المنظور العلوى المجرد، وتكون لدى كل محلل شكل خاص بالإنسان الحديث وإنسان المستقبل، ما هو سلوكه وعلاقاته مع الآخرين، ما هو الشكل السياسى والاقتصادى العام الذى بدأ أن يتبلور مع بداية الألفية الثالثة للمجتمع العالمى الجديد، أسئلة كثيرة حاول كل محلل الإجابة عنها، وتصور بعض السيناريوهات لها، ونحن هنا نحاول أيضاً ، عسى أن يصيبنا شيء من فراسة التوقع واحتمال ممكن حدوثه.